

حوار/بريد الجمعة

مقدمة:

"رمضان كريم"

هل تعرف معنى هذه المباركة الطيبة كل عام؟

أنا لا أعرف معناها تحديداً، ولا تاريخ ظهورها، ولا إن كانت خاصة بالإسلام المصرى أم أنها سنة شريفة عامة يتبادلها كافة المسلمين وغير المسلمين عبر العالم.

دعنا لا نعرف أصل وفصل هذه الأمنية، أو هذا الدعاء ونحن نتبادل الأمان الصادقة أنه:

"رمضان كريم"

وكفى.

ملحق البريد:

تفضلت د. أميمة رفعت بإرسال بدايات دراستها في أحلام فترة النقاها، وقد فضلنا أن نثبت ما أرسلت في ملحق خاص بالبريد دون تعليق.

والدعوة عامة للمناقشة.

كل بما يشاء.

كيفما شاء.

يوم إبداعى الشخصى حوار مع الله (17)

مقتطفات من موقف القرب (1 من 2)

د. مدحت منصور

عندما كنت أقرأ الحوار مع الله أو المقامات عرفت الفرق بين التلقى والقراءة وعلمت أن القراءة تأتي بالعين والعقل، أما التلقى فبالقلب والروح، وأنا بعد أن تلقيت هذه المرة أحسست أن هناك شيئاً قد بقى في داخلى، أما تفاعلى مع النص فبكلمة "سبحانك"، أما ما فهمت فلا أهتم أصلاً إن كنت فهمت أم لا، أدامك الله معلماً لنا وأطال الله عمرك ونفع بك الناس.

د. يحيى:

وبك يا مدحت

وبكل من ألقى السمع وهو شهيد.

أ. رامى عادل

هددتني فاستجبت مقيماً حواراً ملكوتياً فيك بك معك، انرت غامراً اياى فى محلات اسرارك، وجدتنى عامرابجيووات شرفتنى إلى جوارها، رافقتنى.

د. يحيى:

وصلتنى صحبتك يا رامى، وأنست بها.

أ. ميادة المكاوى

أكثر ما يدفعنى للتعليق على هذه اليومية هو ما لفت انتباهى على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية عندما وجدت نفسى وبعد أن أعتبرت اليومية التى تحمل هذا العنوان هى لوغاريتم يصعب على استيعابها وجدتنى أتابع وباهتمام، وقد فوجئت بأنه قد وصلنى شىء ما فرحت به وإن لم أستطع وصفه أو أن أحدد نفسى من فلسفته، حتى لا أفقده، واكتفيت بفرحة الجهل التى أجدها أبقى وأعمق من المعرفة المتفلسفة التى تبعدنى عن ما هو حقيقى وأعمق.

وأخيراً أجد اليومية بتاريخ 24-8-2009، ودون أن أفلسف ما وصلنى أجدها استمرار لما وصلنى من قبل، كما أجدها تناغماً رائعاً للحال التى أجد نفسى فيها منذ بداية الشهر الكريم.

عذرا لعدم التفسير ولكنى هكذا أقرب.

د. يحيى:

من يكون أقرب له فضل أنه يجعل "الآخر" أقرب أيضا، حتى لو لم يتحرك هذا
"الآخر" من موقعه
كل عام وانت أقرب.

أ. على مصطفى

لا أسمح لنفسي ان أقول انى اديب ويفهم فى الادب ولكن الله يرحمك يا أستاذنا نجيب محفوظ فمئذ ان
توفاه الله، لم أقرأ كتابة بهذه الروعة وربنا يدك الصحة والعافية ولا يجرمننا من الحاجات الرائعة
دى وكل عام وحضرتك بخير يا دكتورنا الفاضل

د. يحيى:

الحمد لله

وكل عام وأنت بخير جميل

دراسة في علم السيكيوباتولوجى الحلقة (21)

تحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة

د. مدحت منصور

كل عام وأنتم بخير. النص زعلان شوية بس الناس حتدعى لحضرتك، التفصيل (الشرح) صعب لكن لو
أخذنا من كل نص حبة ولو صغيرين حايجمع معانا كثير، ويمكن ناس شاطرة تأخذ كثير وكثير، ويبقى
المجموع الكلى أكبر، ربنا ينفع بك الناس فى مشوارنا إليه.

د. يحيى:

ربنا يسمع منك

دراسة في علم السيكيوباتولوجى الحلقة (22)

عن العلاج النفسى والأيدولوجيا (1 من 2)

أ. عماد فتحى

بالنسبة لموضوع إيدولوجية المعالج وعملية التحيز لهذه الأيدولوجية، أرى وجهة نظر الغرب يمكن
أن تكون نافعة، مش عارف!

د. يحيى:

لك الحق أن ترى ما تشاء،

لكن علينا أن نعرف معنى ذلك الذى يشترطونه لتجهيل الهوية الدينية لكل من
الطبيب (المعالج) والمريض، كما علينا أن ننظر فى مدى المسافة التى تتخلق بيننا
وبين المريض من خلال ذلك، وقد ناقشنا هذا الموضوع مكررا فى باب الإشراف عن بعد.
وكل واحد يعمل فى إطار ثقافته وموقفه ومسئوليته إلى ما يصلح به عمله.

د. محمد على

مش عارف يا دكتور يحيى أنا شايف إن أصحاب الإيدولوجيات أصبحوا قليلين، إلا أصحاب التدين
السطحي "اللى" هما مالين البلد رافعين حراب الكلام والدفاع عن المذاهب ضد بعضهم والمجتمع
ونفسهم.

الحاجة الثانية: إن أصحاب التدين دول تقريبا يمثلوا 70% من العامة، ومن غير خناقة مع الدين
يتخانقوا مع نفسهم ويبقى الـ 7% عيان نسيبهم كده أحسن.

د. يحيى:

لم أفهم ماذا تعنى بـ "نسيبهم كده أحسن"

ولست متأكداً من الرقم الأخير هل هو 7% أم 70%، ولا أعرف من أين لك بهذه
المعلومات أو حتى الانطباعات بهذه النسب، التى بدأت بها تعقيبك
وأرى أن الأيدولوجيا قد تكون أخفى من أن تُعلن، وربما هى أخطر بهذه الصورة
السرية،

كما أعتقد أنه فى نهاية النهاية، فإن الذى يحسم الأمر فى مواجهة جمود
الأيدولوجيا هو الموقف النقدى الممتد، والذى يهز كل الأيدولوجيات، بل
والعقائد أولاً بأول، والذى تتحدد إيجابياته بمدى تحقيق القدرة على التغير
الفعلى.

دراسة في علم السيكيوباتولوجي الحلقة (24)

دفاعات ضد "حركية" تجليات "الحب" على مسار النضج

د. مدحت منصور

"معلش يا "نص"، بنفكك علشان تتلم تاني جوانا وتنور....."

د. يحيى:

آسف يا مدحت، فضلت أن أعتذر عن نشر بقية تعقيبك لأنه بالغ التكثيف، واكتفيت بنشر اعتذارك هذا للنص، وأبلغك عنه: أن النص قد "قبل" الاعتذار على شرط أن تعيد قراءته دون شرح.

أ. رامى عادل

تلطمني بعنادها وعدم سماحتها (ما دتمت تتحدثون عن الحب) وأنها براويه، تحب ان تظل مرغوبا فيها، لهذا طهقت منها، ومن تزويغها، وتخبيتها، تهجرني، وتستغلي (وانا كذلك عشان ميزعلوش) واكره جوعها، وصلابتها، تشبهني في افعوانيتها، اكرها واعشق احتياجي لها فهو يبقيني حيا، يوجعني فيواسيني ويؤنسي.

د. يحيى:

موافق

دراسة في علم السيكيوباتولوجي الحلقة (25)

الباب الثاني: قراءة في عيون بشرية

د. أسامة عرفه

أبي الحبيب كل عام وأنت بكل الخير

هل هي قراءة بالعين البشرية أم قراءة في العين البشرية؟

قراءة ما تبوح به وما تداريه وما تحاول أن تداريه أم هي تواصل بين كيانين عبر بوابة العيون؟ وهل تنجح إذا كانت من طرف واحد يمدق يتفحص والآخر يهرب..

وهل يتحمل المعالج في حوار القراءة المتبادلة أو الشوفان المتبادل..؟

وماذا عن خصوصية هذه الممارسة مع المريض البارانوي تحديدا؟

د. يحيى:

ياه!! أين أنت يا رجل؟

حمداً لله على السلامة يا أسامة!

أنشغلت عليك، ولم أزد أن أزعجك بالسؤال عنك، فأثقل عليك بأن تبعث ما لم يستثرك فيثريك،

المهم: وأنت بالصحة والسلامة.

ثم ردا على تعقيبك:

أولا: هي قراءة في العيون، بالعيون وغير العيون

ثانيا: وفيما يخص هذا العمل (المتن الشعري): فالقراءة هنا هي قراءة من جانب واحد، "جاني"، وهي جماع التشكيل والحدس والتحديد التخليقي، والتحريكي، وإعادة التشكيل بما تيسر.

[هكذا أصعب، !! عذراً].

ثالثا: فيما يتعلق بخبرة التحديق العلمي أثناء المقابلة الإكلينيكية العادية، فهي اجتهاد لتحريك "الحزن"، أو "الألم"، مع محاولة المشاركة، إذن هي قراءة من الجانبين، لأنه لو لم ير المريض في عيون الطبيب محاولته الجادة في نفس الاتجاه فلن يسمح لنفسه بالكشف عن هذه المناطق الحرجة.

رابعا: أما سؤالك عن: هل يتحمل المعالج القراءة المتبادلة أم لا؟ فهذا يرجع للخبرة، والمسئولية، والجسارة، والأمانة، والصنعة، وستر الله.

خامسا: وأخيرا، فإن المريض البارانوي بالذات ليس أصعب من غيره، ربما ذلك لأن محاولاتي لم تختبر حتى الآن منطقة التوجس والخذر، في مقابل الطمأنينة والأمان، وإنما معظم كشفى كان في منطقة "الحق في الحزن" و"الحق في الألم"، وإلى درجة أقل "الحق في الشوفان" وأيضا: "الحق في الاعتراف والاحترام".

وكل ذلك ممكن مع البارانوي وغير البارانوي

ولا أنصح به أحدا، إلا على مسؤوليته تحت إشراف!!

أحلام فترة النقاهة "نص على نص" حلم (187) وحلم (188)

أ. رامى عادل

هل حضرتك ممكن تتهرب من علاقته؟ طيب ما هو حقك؟ طيب هو حضرتك بتبالغ ولا مصدق انك خطأ، وتفعل عكس ما تأمر به مرضاك او عملائك، مثل انهاء علاقته ما؟ وهل للعلاقة نهايه، متى يكون إنهاؤها خزيا؟

د. يحيى:

العلاقة الحقيقية تتجدد باستمرار، من حيث المبدأ، وأن اختلفت تجلياتها حتى لو تغيرت أطرافها.

فهى لا تنتهى أبدا.

فمن أين الخزي؟

أ. رامى عادل

وقلت: يا ربى متى يعرف الناس أن كل شيء هو ضرورى لكل شيء؟ وانا اقول بدوري: هل لا يفعل د يحيى ما يقوله للعلماء المرضى؟ وهل هى حكمة ام نغمه؟ وهل نحن/انت /هم المنافقون؟ وقلت يا ربى متى يعرف الناس؟

د. يحيى:

ولماذا نصر أن نعرف تحديدا ما لا يحتاج معرفة؟ دعنا يا رامى نواصل دون "تفعيم"،

والنتائج سوف تتوجه بنا إلى ما هو أصلح، فأصلح، وهكذا.

تعتة قديمة:

الصوم بكسر نطا ثابتا، فرصة أن نتعلم، ونبدع !!

د. مدحت منصور

أنا مقتنع إن الإبداع ليس حكرا على أحد والناس يبدعون في مجالات مختلفة مثلا بائع الفول وهو ينادى بصوت جذاب وهو يضع الخلطة السرية والتي تجعل طعم الفول مميزا لا يمكن تقليده والطفل عمر سنتين وهو يبدع للوصول لطبق البطاطس والذى وضع في منتصف الطاولة كلنا يبدع ولا يجوز حكر الإبداع على أحد. أنا مدخن شره وأتناول القهوة والشاي بكميات ولكن بما أنى عرفت الآن معنى جمبلا للصيام فدعنا نصوم إبداعا معا إلى الله وإذا شعرت بالصداع وتلعثم لسان وثقل فسأذكر أننا نكتشف أنه يمكن الاستغناء عن أشياء كنا نظن أنه لا يمكن الاستغناء عنها، كل سنة وحضرتك طيب ورمضان كريم والله أكرم.

د. يحيى:

وأنت بالصحة والسلامة

د. على الشمري

الصوم من اكثر العبادات خصوصية لانه بين الانسان والخالق جل وعلا، ومهما حاول البعض ان ينصبوا انفسهم اوليا بيننا وبين الله فاهم سيفشلون وعملية الابداع صفة زرعهالله في الانسان وتختلف من انسان الى اخر بل مرحلة الى مرحلة من حياة الانسان وحسب اعتقادي والله اعلم ان الصوم اوجده الله من اجل خير الانسان قبل أى شيء اخر فلماذا لانبدع في عبادة الصوم ؟ فنجعله صوم عن السلبية والفكر الركيك والسلوك العبثى بالاضافة الى الامتناع عن الاكل والشرب ونكون اكثر صدق واكثر انسانية اثناء الصوم ونتخلص من الانماط الرديئة في تفكيرنا ومشاعرنا وسلوكنا جزاك الله خير الجزاء الاستاذ الكتور يحيى تقبل الله منا ومنكم صالح الاعمال

د. يحيى:

وكل عام وأنتم بخير

أ. رامى عادل

ربما لانك تتحدث عن الايمان، وجدتنى أتساءل، هل عمق الرؤيه يجعلنا في نظر انفسنا مجرمين وحوشا سفله، وهل تصديقنا لذلك \ "ان حدث\ ينقل رؤيتك للاحر فيراك كما ينبغي؟ واخيرا هل يتعارض كونك مؤمن مع اجرامك؟ بالطبع هذاشطط يليق بى هنا والان.

د. يحيى:

لا شطط، ولا تعارض، ولا يجزنون.

أ. هيثم عبد الفتاح

د. عمرو دنيا

شكراً يا دكتور يحيى على المعنى الجديد للإبداع فعلاً، فأول مرة أرى أنى حين أقول مش قادر أكتشف بالمشاركة والطيبة والتوجه أنى قادر ونصف، حقيقة مش مجرد كلام، كما وصلنى أنى يمكن أن أتعلم إذا أردت أن أتعلم.

د. يحيى:

هذا صحيح

بارك الله فيك

أ. نادية حامد محمد

أجد صعوبة يا دكتور يحيى في رؤية ما هو غير ممكن أنه ممكن وهميل وطيب، ده بشكل عام، وليس بجديد فيما يخص موضوع الصيام الذى هو فرض من فروض الله علينا.

مش عارفة هل حضرتك متفاءل زيادة في ذلك، ولأ أنا اللى مش متفاءلة بالشكل الكافى.

د. يحيى:

أنا أكرر أنى مضطر أن أتفاءل - على العمال على البطلان - حتى أبرر أنى مستمر فى الحياة.

تعتة الوفد:

قالوا "إيش" خاطر الأحزاب؟! قالوا سياسة بحق وحقيق!!

د. على سليمان

الأحزاب فى البلاد العربية عكس مفهوم الأحزاب فى الدول الديمقراطية فى الغرب والشرق تماماً فالأحزاب فى الخارج تعتمد على مبدأ تداول السلطة (ويعتبرون ذلك من حق الشعب أن يختار الأجدر والاكفأ وما يقدمه من برامج وخطط وما يعتمد من سياسات وإجراءات) والأحزاب فى الوطن العربى تعتمد على مبدأ خدمة الشعب وعدم إرهاقه فى عملية تداول السلطة المعقدة (خلك نائم ومستريح وكل شى تمام) (ويعتبرون السلطة هى مصدر الحكمة والإلهام والتشليح اسف اقصد التشريع ممثلة فى الأحزاب الحاكمه وهى صاحبة الاختيار فقط دون الغير) الى درجة ان الدول التى لا يوجد فيها نظاماً للأحزاب تحمد ربها على ذلك ليل نهار فوجود مثل هذه الأحزاب فى الوطن العربى ليس مظهر من مظاهر تكريس السلطة بل يضاف اليه استهبال الناس بأنه لا يوجد أى تكريس للسلطة فى حزب واحد وهناتضاعف الخطاء مرة بالمصادرة ومرة بعدم الاعتراف بهذه المصادرة وعدم وجود مثل هذه الأحزاب افضل بكثير من وجودها فعلى الأقل مادامت لا تحقق الهدف من وجودها فان عدم وجودها يوفر بعض الاموال التى ممكن ان تنفق على التعليم والصحة وتحسين الطرق وغيرها ويخفف من التوتر الذى تسببه ممارساتها غير الديمقراطية. نسال الله العظيم ان يجعل كل من بيده الخل والربط (واركز على الربط لأنه الاكثر بروزاً) فى الوطن العربى من المحبط الى الخليج (فى رمضان انشاء الله تقبل الدعوات) ان يجعله (يرى الحق حقاً ويرزقه اتباعه وان يرى الباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه امين يارب العالمين)

د. يحيى:

آمين

أ. رامى عادل

طيب هل عند حضرتك فى المستشفى احزاب وتكتلات وخصوم؟ وكيف تتعامل مع هذا الوضع ان وجد؟ وهل ينحاز بعضهم ضدك؟ واخيراً هل لك ساعد امين ام لا؟

د. يحيى:

كل شى جائز

وأنا لى سواعد كثيرة، ليس فقط أمين وأيسر (ربما مثل الأخطبوط)!

أ. هالة حمدى

التعتة جت فى وقتها لأن من أسبوعين كده لقتنى مطلوب منى أنى أروح أرشح ناس معينة فى الحزب الوطنى، وأنا ولا أعرف أى حاجة عنه، وبعد قراءتى للتعتة حاسة كده أنى اتلخبطت، هو حزب أى كلام ولا فعلاً ليه أهميه ووظيفة بتتنفع.

واللى وصلنى من المقالة برضه هو أنه مهما نعمل أحزاب كلام الحكومة هوأ اللى ماشى، وليه نقعد نمثل ونعمل انتخابات وترشيح وحزب وسلطة وكله فشلك.

د. يحيى:

لزوم "المنظرة"،

ألست معى أن "المنظرة حاجة تانية"؟!

يبدو لي أن الأحزاب الحالية هي لافتات للتصدير، مع أن من نصدر لهم هذه
اللافتات يعرفون أنه ليس تحت القبة شيخ، وأن اللافتة هي باب مقبول يفتح على
خواء ممتد.

أ. هاني مصطفى

قالوا إيش خاطر الأحزاب!!! قالوا سياسة بحق وحقيق عجبني قوى قول جاهين "إفعل أى شىء تقررته،
وستجد مثلاً يبرره"، خلاني أشوف الأمثال بشكل جديد، وكأنها بتوصف الحياة أكثر ما تصدر أحكام
قيمة.

د. يحيى:

رحمة الله عليه رحمة واسعة

أُوخْشَنِي

د. محمد على

صعب الموضوع، طلع الموضوع صعب يا دكتور يحيى، كنت فاكراً أني بافهم في السياسة وأنى أعرف أتكلم
فيها لكن طلع الموضوع صعب، أنا باكره على بعضه، يمكن علشان التمثيلية اللي بتحصل قدام
عيوننا أو النكتة السخيفة اللي عايشينها باخت وطالت.

طب وبعدين...؟!!

د. يحيى:

وماذا تجدى الكراهية؟

حتما سوف تُفرج حين تتكاثف جهودنا معا في كل مكان في العالم، كل البشر، سوف
نبدع حياتنا بما أبداعنا من أدوات جديدة تليق بمسيرة الإنسان القادمة، وما
يستحق بعد ما أكرمه الله برحلة تطوره الطويلة.

ملحق بريد الجمعة

د. أميمة رفعت

كل عام وأنت بخير، رمضان كريم

بدأت منذ شهرين في كتابة نقد لأحلام فترة انقائه، وهي تجربتي الأولى في الكتابة ولا أعلم مدى
توفيقى فيها. لم انته منها بعد ولكنى شعرت أنه ربما كان من الأفضل أن تعطيني رأيك في هذه
المرحلة فإذا كانت المحاولة جيدة أكملت، وإذا خانني التوفيق توقفت. وفي كل خير. سأرسلها تباعا
على حلقات لطولها. شكراً لتشجيعك.

أحلام محفوظ بين الرمز والأسطورة

د. أميمة رفعت

الأحلام لوحات تشكيلية

أقام الفنان محمد حجي - الذى كانت رسوماته تصاحب عرض الأحلام في مجلة نصف الدنيا - معرضاً ضم
ستين لوحة تشكيلية لهذا العمل في الكويت في 6 ديسمبر 2004. لم يسعدني الحظ برؤية أى منها، وإن كان
هذا من حسن حظي في نفس الوقت حتى أحظى بفرصتي أنا أيضاً في الخيال والتصور دون وصاية أو تأثير من
صورة مسيئة.

ريشة محفوظ

والحقيقة أن ريشة محفوظ في لوحات أحلامه هذه كانت طبيعة في يده، خفيفة ورشيقة. كانت سريعة
أحياناً وبطيئة في أحيان أخرى ليس عن كسل أو فشل في التعبير وإنما لهدف يخدم أفكاره بجنكة وبراعة.
ففى بعض الأحيان نرى الحلم مرسوماً جاهزاً أمام أعيننا بتفاصيله الكثيرة التي تزين اللوحة، وما
علينا إلا أن نقف أمامها ونطيل النظر، نتأمل كل هذه العناصر المتشابهة وما تعنيه. فمثلاً الحلم
(14) ملئ بالتفاصيل: النيل، القمر، زهور الياسمين، لمحات في الخلفية من أركان العباسية، شارع
مظلم، مصباح، جنازة، فتاة جميلة، ورد النيل.

الحلم (20): سطح مياه، هلال ثم بدر، مصباح، عمود من نور، قارب وملاح، شخصية ماردة ضخمة،
شخصيتان غير واضحتان في مقدمة الصورة (ذكر وأنثى).

الحلم (83): كارتة، جواد مجنح، فتاة، مساحة شاسعة من السماء تقطعها مآذن وأسطح منازل وقمة
الهرم، ثم كوكب مضيء.

ولنأخذ الحلم (20) كمثال للوحة بها حشد من العناصر - وإن كنت لن أطيل في عرضها فيكفى ما
كتبتة عن هذا الحلم من قبل:

عنصران في الصورة أساسيان رسم حولهما الكاتب بقية اللوحة وهما عمود النور الذي يمتد من الأرض
إلى السماء وسطح المياه. فالأول يعتبر المحور الرأسى الذى يتقاطع معه الثانى كمحور أفقى. ولأنهما
يحددان الأرض والسماء من ناحية وجانبى المياه من ناحية أخرى فهما بذلك يحددان أركان الكون

الأربعة. وهكذا تتسع الرؤية في اللوحة إتساع الكون كله، وتأخذ العناصر المصاحبة معنى جديداً يختلف عن معناها المألوف في الطبيعة. فيصبح الهلال رمزا كونيا لدورة الحياة، والمياه رمزا للرحم التي تضم وتخلق، والأنثى والذكر رمزا للوجود البشري في الكون وهكذا كما فسرنا من قبل. من الواضح إذن أن هذا الخشد من العناصر ليس المقصود منه تزيين الصورة أو صبغها بصبغة رومانسية (برغم جمال ورومانسية الحلم فعلا) ولكنه يحكى حكيا عميقا على أنغام لحن أسطوري، تسمع نغماته العين قبل أن ترى خطوطه

وهذه اللوحات (المذكور أرقامها سابقا) أمثلة للوحات جرت عليها الريشة بحفة وبسرعة...فتحننا أعيننا فوجدناها. كما يولد الإنسان فيجد الكون جاهزا أمامه، ما عليه إلا أن يراه ويتأمله. ولكن هناك لوحات أخرى رسمها الكاتب ببطء، وكأنه يريد أن يشرك القارئ معه في كل خط من خطوطها...فلنقرأ سويا الحلم: (100)

هذه محكمة وهذه منضدة يجلس عليها قاض واحد وهذا موضع الاتهام يجلس فيه نفر من الزعماء وهذه قاعة الجلسة، حيث جلست أنا متشوقا.. يستخدم هنا الكاتب أسماء الإشارة (هذا وهذه) فيقول: أنظر هنا ذا أرسم محكمة، وهذه منضدة وقاض، وهذا موضع الإتهام وبعض الزعماء، وإنتبه فهذه قاعة الجلسة وها أنا أجلس فيها. نشعر بالبطء في الحكى، كما نشعر أيضا بالتركيز على عناصر اللوحة قبل أن تبدأ الحكاية...فما هي الحكاية؟

هذه محكمة وهذه منضدة يجلس عليها قاض واحد وهذا موضع الاتهام يجلس فيه نفر من الزعماء وهذه قاعة الجلسة، حيث جلست أنا متشوقا لمعرفة المسئول عما حاق بنا، ولكني أحبطت عندما دار الحديث بين القاضى والزعماء بلغة لم أسمعها من قبل حتى اعتدل القاضى في جلسته استعدادا لإعلان الحكم باللغة العربية، فاسترددت للأمام ولكن القاضى اشار إلى أنا ونطق بحكم الإعدام فصرخت منبها إياه بأننى خارج القضية وأنى جئت بمحض اختياري لأكون مجرد متفرج، ولكن لم يعبأ أحد بصراخى)

طريقة رسم اللوحة هنا تعطى إيقاعا رتيبا للحكاية لا يكاد القارئ يخرج من رتابته لحظات حين يجد الخالم يجلس (متشوقا) حتى يرجع لإسترخائه ثانية عندما يراه (يُحْبَط). ثم لا يلبث أن ينفصل كلية عن المحاكمة لأن اللغة التي يدور بها الحديث أصلا غير مفهومة.. وقيل أن يصيب القارئ الملل أو يتشتت إنتباهه تماما، يفاجئه الحلم بما هو ليس متوقعا على الإطلاق...فالقاضى يحكم بلغة عربية واضحة بالإعدام على (المتفرج)!!

رسم اللوحة ببطء حقق هدفين، أولهما هو الإحتفاظ بالصورة في الذاكرة حتى إذا ما شعر القارئ بالرتابة لم تحتف من ذهنه وثانيهما هو تحقيق عنصر المفاجأة. وبالتأكيد نجح الكاتب في هذا فمن منا لم يُعد قراءة الحلم من أوله بعد سماع هذا الحكم الغريب وتساءل.. ماذا حدث؟ ولماذا؟

يذكرنى هذا الحلم برواية (الغريب l'Étranger) لأربير كامو Albert Camus التي تطرح فكرة عبثية الوجود. وبطل الرواية فيها ليس إلا متفرجا على الأحداث حتى تلك التي تخصه مثل موت والدته، بل وتلك التي يرتكبها بنفسه كقتله لرجل عربى بلا سبب. فهو يرى كل شيء من خارجه دون أن يتورط إنفعاليا أو شعوريا مع الحدث، وكأن الكون يتحدث بلغة غريبة عنه لا يفهمها وتخصه وحده، فالقدر هو الذى يجره كما يشاء وكيفما أتفق وهو لا يهتم.. ولذلك فإيقاع الرواية في الجزء الأول رتيب أيضا... حتى يُحكم عليه بالإعدام بالمقصلة فيفئق ويفكر ويغضب وينفتح على الكون ويرى الموت..

ومحكمة محفوظ من داخل نفس الخالم تناقش حاله وتقيم شخصيته وذواته المختلفة (نفر من الزعماء)، وربما يكون الكاتب قد إختار وصف "الزعماء" لتسلمهم الزعامة دوناً عن ذات الخالم الأساسية، وفي كل هذا (يتفرج) الخالم على داخله من الخارج بسلبية، وكأنهم يتحدثون بلغة غريبة عنه ويناقشون ما لا يخصه. وعند النطق بحكم الإعدام يصرخ خائفا مستغيثا، منتبها ومنبها معا، بأنه يعى أن لديه هو أيضا إرادة ماء، فقد جاء (بمحض إختياره)... ليكون (متفرجا)!

الحقيقة أن الأحلام التي يتمهل قليلا محفوظ في بداياتها بإستخدام إسم الإشارة ليست قليلة، واعتقد أنه في كل منها يريد أن يلفت نظر القارئ إلى مفتاح الحلم، أو أن "يُفْرغ" فيه شعورا عميقا لا يحى حتى إذا لم يحل شفرة الحلم يظل التأثير دفيئا عميقا قد يخرج إلى السطح يوما ما. من هذه الأحلام (109)، (123)، (128)، (167)، (168) وغيرهم. وقد نرجع إلى معظمها لاحقا.

الكتلة والفراغ

وظف محفوظ الكتلة وحدها أو بالتبادل مع المساحة الواسعة حولها جيدا في لوحاته، فتحكما سويا في الإيحاء بالحركة والسكون كما منحنا للمحتوى إطارا ديناميكيا إنطلقت منه أفكاره فإزدادات الأحلام تأثيرا وعمقا.

في الحلم (4) يبدأ الكاتب بمساحة فارغة (بهو مترامى الأركان، متعدد الأبواب، خال من كل شيء) ثم يبدأ في ترتيب الكتل بداخله بتناسق لتتنز اللوحة تدريجيا يضع أولا ثلاثة أصدقاء في أحد الأركان، ثم ثلاثة آخرين في المقابل في مكان يبعد عنهم مسافة، فالخالم لا يراهم فورا لبعدهم عنه وإنما (سمع حركة، نظر فرأى..) والتوازن هنا توازن متمائل أى ثلاثة مقابل ثلاثة. ثم يظهر (شخص جليل في هيئة الزعامة) في صدر اللوحة، وبقدر عظمتة وجلاله يزن اللوحة بخلفية من المدعوين (بملأون المكان) التوازن هذه المرة محسوس وغير متمائل...وهكذا يمتلىء الفراغ بالكتلة مع الإحتفاظ بتوازن اللوحة بتدرجية ناعمة.

ورغم إمتلاء اللوحة بالشخصيات التي ظهرت من فراغ إلا أننا نلاحظ حركتهم بالكاد في هذا الحلم. لم نر حركة الكتلة الأولى (الأصدقاء الثلاثة) بل وجدناهم واقفين. ولم ير أحد حركة الكتلة الثانية عند دخولها البهو فقد (سُمِعَت الحركة)، وكانت خطوات الرجل العظيم فيها تؤدة ووقار وبطء حتى أن الخشد في الخلفية كان لديهم الفرصة ليهلوا مع كل خطوة بخطوها. الحركة الوحيدة السريعة الملحوظة

وسط كل هذه الحركات "الساكنة" إذا جاز التعبير- هي حركة هروب الخالم ومحاولة فتحه للأبواب جميعا. وهكذا يُبرز سكون اللوحة حركة صاحبنا.

الحركة والسكون وتنوع التوازن في رسم اللوحة يخدم محتوى الخلم الذى لا نريد التعجل في عرضه الآن ونفضل تأجيله عند تناول الرموز بالدراسة.

أما الأحلام التالية فهي أمثلة للوحات تشكيلية فوتوغرافية يظهر فيها تبادل الكتلة مع المساحة حولها وتأثيرها على الإجماء بالحركة وعلى مشاعر الخلم :

- الخلم (3): هذا سطح سفينة يتوسطه عامود.
- الخلم (42): السفينة تشق طريقها بين أمواج النيل الرزينة
- الخلم (27): في سفينة عابرة للمحيط (...). هبت الريح وإختفى الأفق خلف.

الأمواج الغاضبة

الخلم (45): على سطح البحيرة ينطلق قاربى البخارى.

في (3) الكتلة هي السفينة، ولكن تقرب "الكاميرا" منها جدا حتى أننا نرى تفاصيل ما يحدث على سطحها ولا نرى إطلاقا المياه التي تسير أو تقف فيها السفينة. فالكتلة هنا لا فراغ أو مساحة حولها، فتبدو اللوحة كلها ككتلة واحدة صماء لا تتحرك توحى للمتلقي بإنعدام الهواء مما يضىء جوا خانقا على الأحداث وبالتالي على الحوار الدائر على سطحها الملىء أصلا بالعذاب) يتوسطه عامود مقيد به رجل (..) يحرك رأسه بعنف يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة: متى ينتهى هذا العذاب؟).

في (42) تبتعد الكاميرا قليلا لنستطيع أن نرى المياه، فنتعرف على النيل وأمواجه الرزينة. مساحة النيل وطبيعة أمواجه توحى بحركة رصينة هادئة تهدد مشاعر المتلقى، فتغير جو الإمتحان الذى يجرى على سطحها من التوتر والقلق المتوقعين في هذه الحالة إلى الهدوء وربما بعض الخدر أيضا، فتكون النتيجة ممتازة ويحصل المتحنون كلهم على شهادات النجاح ويحتفلون بنجاحهم.

(27): في هذا الخلم ربما تكون الكاميرا قد إبتعدت أكثر قليلا عن الخلم السابق وربما لا، ولكن وصف السفينة بأنها عابرة للمحيط يعطى إجماء بإتساع المساحة حولها (المحيط)، وهي ليست بالتأكيد مساحة صامتة ولا هادئة رزينة كما في (42) ولكنها تمور بالرياح والأمواج الغاضبة حتى أخفت الأفق. الحركة هنا عنيفة غير متزنة والفضاء حول الكتلة حتى قاس يتحكم بها كلية فتصبح هذه الأخيرة كلعبة صغيرة في يده (السفينة كرة تتقاذفها الأمواج)، يصحب ذلك مشاعر غضب وخوف فتكثر مع هذه الصورة ألفاظ تشعل الأحاسيس وتعمقها: فللخوف إستخدم الكاتب (ذعرت، وحيد في أعماق المحيط، لا نجاة من أهوال المحيط، الأمر كابوس) ثم إستخدم للغضب (إزددت كرها، هممت بدق عنقه، تلعن ساخطة).

تبتعد الكاميرا أكثر في (45) لنرى مساحة أوسع كثيرا (سطح بحيرة) وكتلة أصغر (قارب بخارى) فتتسع الصورة ليتمدد مجال الرؤية ويستطيع القارئ رصد المطاردة التي قد تحدث بين قارب صاحبنا البخارى والقارب الآخر الذى يشعر بوجوده (إذا وجد). ويصاحب هذه الرؤية الواسعة الفعل (ينطلق) وهكذا يكون الفضاء حول الكتلة مرتعا لحركة سريعة نشطة منطلقة وربما متوترة أيضا طالما تصاحبها مطاردة.

لوحات تشكيلية فوتوغرافية

ومما نراه كثيرا في هذه الأحلام هو التصوير الفوتوغرافي الذى يخلق عدسة الكاميرا على مشهد ما ليفتحها على مشهد آخر مختلف في مكان مختلف أو زمن مختلف مما يشبه المونتاج السينمائي، وهو ما يناسب تماما طبيعة الأحلام في الإنتقال في الزمان والمكان بحرية، ومما يميز أيضا الأدب السريالى الذى لا يتقيد بمنطق واقعى في الربط بين الأزمنة أو الأمكنة المختلفة.

وربما من أجمل هذه الأحلام هو الخلم (121):

(رأيتنى أسير في شارع كورنيش الإسكندرية مستهدفا العمارة التي أرى في إحدى شرفاتها السيدة الأنيقة بصحبة زوجها وأبنائها الشبان فلما فتر الهدف ذاب المنظر ذوباناً سحريا ناعماً حتى اختفى وحل محله شارع العباسية ومازلت أسير نحو العمارة الجديدة التي تطالعي من إحدى نوافذها الفتاة التي لا تُنسى ولكن وجدت النافذة خالية فقررت الانتظار كالعادة في محطة الترام ولكنى لم أجد للمحطة أثرا ولا لقضبان الترام أثرا على طول الشارع).

فقد كان صاحبنا يسير في شارع كورنيش الإسكندرية مستهدفا عمارة (وعندما فتر الهدف ذاب المنظر ذوبانا سحريا ناعما) ليحل محله شارع العباسية والعمارة الجديدة.

هنا يبدو الإنتقال من مشهد إلى آخر رقيقا ناعما رومانسيا وتدرجيا ليُعدُّ القارئ لمشهد آخر عناصره في الحقيقة مشابهة لعناصر الأول مع الإختلاف الطفيف، (فالشرفة) في المشهد الأول تتحول إلى (نافذة) في الثانى، (و المرأة الأنيقة) في الأول تتحول إلى (الفتاة التي لا تنسى) في الثانى. ثم نكتشف أن الهدف الأول (العمارة والسيدة وزوجها وأبنائها) قد فتر عندما إستهدفه وإقترب منه وليس عندما إبتعد عنه.. أى أنه كان سرايبا، وأن الهدف الثانى (الفتاة وقضبان الترام والمحطة) لا أثر له أصلا.. أى أنه كان وهما. وهكذا يذوب الخلم بأكمله ذوبانا سحريا ناعما من مخيلتنا.. ولا يتبقى منه سوى نافذة خالية معلقة في الفرا!!

الألوان والضوء والظل

أحلام فترة النقاهة لوحات غير ملونة !! يُستخدم فيها الضوء والظل على شكل فجر ونهار وليل ونور وظلمة، وتتنوع درجات الإضاءة بدقة لتعطي التأثير المطلوب فتحافظ على ضبابية الحلم وغموضه بدرجات مختلفة حتى تعبر عن مستوى الوعي – العميق والأعمق – دون شرح أو إطالة، إذ أننا هنا نعيش مع الحلم عملية الحلم نفسها وليس روايته أو حكيه.

ومع ذلك فهناك بعض الأحلام يُستخدم فيها محفوظ الألوان، ولكن لوحة ألوانه palette لم يكن بها سوى الأبيض والأخضر ثم قليل من الأسود والأحمر...

الأبيض والأخضر يقعان ضمن فئة الألوان الباردة، وهما لوان لا يجتفان الأبصار ولا يجذبان العين، بل أن هناك مدارس فنية تصف اللون الأبيض بـ "اللون". ولذلك فوجود الأبيض والأخضر في لوحات الأحلام لا يفسد ضبابيتها ولا غموضها، بل على العكس تماما فالأبيض يستخدم بدرجات مختلفة في رسم السحاب والضباب والشبورة المائية وسطح الماء والأسطح الشفافة التي توحى بأنها تكشف عما وراءها بينما هي تحجب الكثير. أما الأخضر فهو لا يبرز من داخل هذا الجو الضبابي، فموجاته الضوئية أقصر من أن تخترق الضباب، وربما يصطبغ في وجود الشبورة بصبغة رمادية تحولها إلى رمادي مخضر يزيد من عمق اللوحة وغموضها.

إلا أن المحافظة على غموض الحلم ليست الوظيفة الوحيدة لهذين اللونين، فدراسة الفن التشكيلي بكل أنواعه لا يمكن فصلها عن دراسة اللون وطريقة استخدامه ومعناه وتأثيره في الأعمال الفنية بالإضافة إلى تأثيره في المتلقى لها. والألوان منذ الأزل لها معنى رمزي استخدمته الأساطير والحضارات المختلفة في التعبير عند نحت التماثيل مثلا أو الرسم أو الحفر على جدران المعابد وصناعة الأصص والأواني وغيرها. فكان من الطبيعي أن يركز الأدب أيضا على المعنى الرمزي للألوان في التعبير وتصوير الفكرة.

فماذا يعنى اللون الأبيض في الأحلام؟

اللون الأبيض هو لون الصفاء والنقاء ولكنه أيضا لون له علاقة بالزمن وأحيانا يعبر عن اللازم. وكما يُستخدم الأبيض في رسم الضباب والدخان فيرمز إلى الارتباك والغموض وضحالة الوعي والرؤية فهو أيضا يُستخدم في رسم الضوء فيوحى بالوضوح وحدة الرؤية والبصيرة، أى أن في استخدامه هدفا مزدوجا، فبتغيير درجة الإضاءة بواسطته يمكن التعبير عن مستويات الوعي والبصيرة المختلفة.

أما عند استخدامه مع اللون الأسود فتزداد المتناقضات وتتصارع ليعبرا سويا في النهاية، في هذا العمل بالتحديد، عن الإزدواجية الداخلية للإنسان، والصراع بين القوى في مستويات وجوده المختلفة سواء في الكون الخارجي أو الداخلي.

واللون الأسود، مثل الأبيض، يعتبر أيضا لالون في بعض المدارس الفنية. ويعتبر "جوته" (في نظريته عن تقابل الألوان) أن اللون الأبيض يقابل اللون الأسود، وأن الأخضر يقابل الأحمر فيخلق هذا التقابل إجماعا بالتناقض الجميل.

وقد استخدم محفوظ التناقض بين الأبيض والأسود في تجسيد الصراع بين الحياة والموت،

ثم الموت والبعث في الحلم التالي – الحلم (68) :

ما أجمل هذا المكان. إن سماءه وأرضه وما بينهما تتألق بلون الورد الأبيض. وجوه آية في النقاء والصفاء. أما معجزته الحقيقية فهي أنه جمع أصدقاء العمر الأحياء منهم والأموات دون أن يثير ذلك دهشة أحد. فلا نحن سألناهم عما وجدوا في العالم الآخر ولاهم سألونا عما حدث في الدنيا عقب رحيلهم.

ولكننا وجدنا أنفسنا جميعا في اللهو متمنين أن تدوم الحال، غير أن الحال لم تدم إذ هبطت من السماء سحابة سوداء، حتى ساد الظلام وفرق بيننا وأهزم مطر مثل الشلالات وتتابع البرق والرعد دون هدنة حتى بلغت القلوب الحناجر.

وهنا تسلل لأذن أصوات بعض الأصدقاء

قال الأول 'إنها النهاية'.

وقال الثاني 'إني لحت عند الأفق قبسا من الفرج'.

وقال الثالث 'مهما يكن من الأمر فلا مفر من الحساب'.

يتلون الحلم تماما باللون الأبيض (فالسما والارض وما بينهما يتألق بلون الورد الأبيض). فهو إذن أبيض متألق يشع نورا.

وقد لفت نظري إختيار الكاتب للون الأبيض للورد بالذات. فأوراق تويج pétale زهرة الورد مركبة، وهى تشبه الدوائر المتداخلة بنظام وبثالية مطلقة، ويمكن تأملها كالمندالا mandala، الشكل الذى إعتبره يونج رمزا لجوهر الكون، كما أن الوردة في الأساطير الإغريقية والرومانية ترمز أيضا لكأس الحياة والخب وربما يقابلها في الثقافات الآسيوية والمصرية القديمة زهرة اللوتس.

و يعم هذا المكان الجميل النقى المتألق سلامٌ داخلى، فالأحياء والأموات أصدقاء، وينعمون باللقاء واللهو دون دهشة أو سؤال وسط لون أبيض – خال من أى تفاصيل أو عناصر – يجمع عالمين مختلفين (العالم الآخر... والدنيا)، وهكذا يتوه منا المكان والزمن، فتصبح اللوحة مرسومة في لآزمان ولا مكان...

ثم يبدأ الجزء الثاني من الحلم بقلق خفى يتسلل من طيات أمنية مشكوك في احتمال تحقيقها وهي (أن تدوم الحال).. وبالفعل يبدو أن دوام الحال من الحال فتهبط من السماء (سحابة سوداء)!

وهنا يظهر اللون الأسود واضحا ليتناقض بشدة مع اللون الأبيض الذى ساد في الجزء الأول منه، كما أن إختلاف مساحة اللونين ملفتة للنظر: فالأبيض مساحة شاسعة غير محددة، بينما الأسود محدد جدا بين خطوط مساحة صغيرة وهي (السحابة) فيبدو وكأنه نقطة سوداء في بحر أبيض.

ومع ظهوره، وبرغم ضآلته حجما، يتحول الضوء والتألق إلى ظلام (ساد الظلام)، ويختفى السلام الداخلى ليحل محله الخوف والرعب (فتبلغ القلوب الحناجر)!!! الحقيقة أن جمال اللون الأسود يكمن في غموضه. فهو في ظلامه الحالك يحتوى كل الألوان بين جنباته وإن كنا لا نراها. ولذلك فيقدر ما يبعث على الخوف والترقب من الغيب والمجهول بسبب ظلامه فهو يعد بإحتمال إشعاع جديد من داخله بسبب إحتوائه على الألوان والضوء.

ولذلك فقد إختار المصريون القدماء لأنوبيس إله الموتى اللون الأسود للدلالة على قدرته الفائقة في إعداد الميت للبعث بعد الموت والبقاء الأبدى للجسد، إذ أنه يجس في جسده الأسود كل الطاقة الحيوية الكامنة التي يحولها إلى المتوفى فيؤهله للإنتلاق.

في الحلم تأتي السحابة السوداء فتُفرق بين الأحياء والأموات وتصبح قضيتنا في النصف الثاني من الحلم هي قضية هذا الفريق الأخير... وهي احتمال بعثه.

وهكذا نستطيع أن نتصور الحياة وكأنها موجة مضيئة بيضاء يجذبها الموت متمثلا في ثقب أسود فيبتلعها تماما ويسجنها بداخله لتتشرب بما يحتزن من طاقة، فتنسبب وتنسبب من أحشائه لتتخلق من جديد على شكل موجة أخرى، تتجمع وتتركز لتشكل نقطة جديدة بيضاء.

تظهر هذه الطاقة في الحلم على شكل إنهمار (المطر والشلالات) إذ أن المياه رمز قوى لإعادة الخلق، بالإضافة إلى (البرق والرعد) اللذين يمثان القوة والقدرة الإلهية. وكما أن الولادة تصحبها آلام المخاض تصحب الخلق أيضا آلام رعب لا تحتمل... تظنها (النهاية) ولكن (يظهر في الأفق فرج.. بعد الحساب).

يصاحب اللون الأبيض أيضا اللون الأخضر في الحلم (58) ليتغير المدلول تماما عندما يزخرها سويا الترام الجديد من الداخل... ونلتقى بهما من خلال رمز الأنثى في الأحلام.

وهنا ننتقل إلى اللون الأخضر بمفرده : وهو إزدواجي المعنى والرمز، فهو لون الطبيعة والنبات وبالتالي هو رمز الحياة والنمو والرخاء... ولكنه في الوقت ذاته لون العفن والمرض والموت!

وفي كثير من الرسوم الأوزيرية رُسم أوزيريس بوجه أخضر فسره البعض بعلاقته بوظيفة الإنبات والزراعة وأيضا بإحيائه وإعادة بعثه بعد أن قتله أخوه ست، بينما فسره البعض الآخر بالعفن والموت لكل ما هو فان، مثل الجسد، للإبقاء في النهاية على جوهر الكائن المقدر له الخلود.

وعندما يوجد الأخضر بجانب المياه يزداد رمز البعث قوة إذ تنتقل طاقة (الماء)، مصدر الحياة، إلى الصورة لتظهر حياة جديدة... وهذا ما نراه في الحلم (14):

تريضت على الشاطئ الأخضر للنيل. الليلة ندية والمناجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء. هامت روحى حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب. ووجدت نفسى تردد السؤال الذى يراودها بين حين وآخر. لماذا لم تزرني في المنام ولو مرة واحدة منذ رحلت؟ على الأقل لتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما من أوهام المراهقة. وهل الصورة التى طبعت في خيالى هي الصورة الحقيقية للأصل؟

وإذا بصوت موسيقى يتراعى إلى من ناحية الشارع المظلم. صارت أشباحا ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها في طريقها أدهشني أنها لم تكن غريبة على، هي الموسيقى النحاسية التى كثيرا ما استمعت إليها في صباى ورأيتها تتقدم.

بعض الجنازات، وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظا، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهي أن حبيبتي الراحلة تسير وراء الفرقة. هي هي بطلعتها البهية ومشيتها السنوية وملاحمها الأنيقة، أخيرا تكرمت بزيارتى وتركت الفرقة الجنازية تسير ووقفت قبالى لتؤكد لي أن العمر لم يضع هدرا، وقمت واقفا منبهرًا وتطلعت إليها بكل قوة روحى. وقلت لنفسي إن هذه فرصة لا تتكرر - لألمس حبيبة القلب.

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعى ولكنى سمعت طقطقة شئ يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ. وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياى في حسرة أبدية.

معظم الصورة لونها أخضر، مرسومة على شاطئ أخضر يجاور مياه النيل. منذ البداية نتوقع بعث وإحياء!

مثل الحلم (20) هناك حوار بين القمر والمياه، وهو حوار خافت رقيق على شكل (مناجاة) بين الأرض والسماء، بين رمزين قويين : (القمر) الذى يمثل دورة الحياة و(المياه) مصدر الحياة. وبالرغم من أن هذا الحدث يحدث ليلا في (ليلة ندية) أى في الظلام، إلا أن (الأضواء) تشع من هذه المناجاة، فنجد الصوت يتحول إلى ضوء. ثم يتحول مرة أخرى (صوت الموسيقى) إلى صورة (أشباح) وتعود هذه الصورة إلى صوت مرة أخرى (موسيقى نحاسية) عندما (تتجلى) مع ضوء المصباح. هذا التبادل بين عناصر الكون المختلفة : السماء والأرض، والصوت والضوء، ثم الصوت والصورة يجسد فلسفة التناظر les correspondences أو التقابل بين عناصر الكون المختلفة. وهي فلسفة روحانية تفترض أن الكون وحدة واحدة، عناصره تتحاور مع بعضه البعض. حتى الماديات فيه تتحاور مع الروحانيات والغيبيات فتدوب كل الفوارق بين المنام واليقظة، والموت والحياة، وبين الصورة الخيالية والأصل الحقيقى.

وهنا تلعب الإضاءة دورا هاما في توصيل هذا التبادل إلى المتلقى. فمن ليل (مظلم) يشقه (ضوء) مناجاة إلى (ظلام) شارع تتجلى منه أشباح، ثم (ضوء مصباح) تتحول معه الأشباح إلى موسيقى. فلا يدهشنا إذن أن صاحبنا الذى كان (يتريش) فى أول الحلم، فنتخيله بعضلاته وجسده، يتحول فورا إلى (روح تهيم)، ولم يعد هو الذى يتساءل وإنما (نفسه) هى التى تردد السؤال، ولا يتطلع إلى الفتاة بكل قوته وإنما (بقوة روحه).. إنه تقابل آخر ولكن بين الجسد والروح. فهو إذن إنتقاله واضحة من الصورة المادية للأشياء فى دنيانا المألوفة إلى الصورة الروحانية فى عالم له "علاقة ما" بالموت، ظهر مع (الموسيقى الجنائزية). ربما يؤيد هذا ما ذهبنا إليه سابقا من لجوء الكاتب إلى عالم الموت لقاء هدفه المنشود من المعرفة الروحانية بعد أن فشل فى الحصول عليه وسط ماديات الحياة.

أما البعث الذى أوحى به اللون الأخضر الذى رسمت به اللوحة فنجد مصاحبا لبعث روحه هو شخصيا ثم للفتاة التى تبرز مع الأشباح من الظلام وراء الفرقة الجنائزية....

ولننتظر أيضا رمز (الأثني) فى الأحلام لنقترب أكثر من الصورة.

أما فى الحلم (63):

هذه أرض خضراء يحيط بها سور متوسط الارتفاع لكنه كاف لإخفاء ما يجرى داخله عمن فى الخارج، وتنطلق من وسطها مسلة طويلة فى رأسها علم، أما سطحها فيمرح بالشباب والحركة. خلت بادئ الأمر أننى فى ناد رياضى. ولكن بعد أن أمعنت البصر غلب على ظنى أننى فى سيرك، فهنا جماعة تسير على أربع. وهنا فريق يتبادل أفراد الصياح والركل. وفريق آخر يتعاقب الحركة ويتبادل الشتائم، أما البقية من الشباب فتشدهو بألحان لم يسمع مثلها. وأردت أن أزداد علما فوجدتني خارج السور فى مدينة كبيرة يشقها شارع عملاق تتكفل الجماهير على جانبيه خارج السور وهى تهتف متطلعة إلى العلم فى رأس المسلة. وأخيرا فتح الباب الكبير. وتهادى منه الموكب، عربة إثر عربة. وفى كل عربة شاب يجلس جلسة ملوكية، ينظر إلى الناس من عل. ويرد تحياتهم باستعلاء واستكبار.

مرة أخرى ترسم الصورة على أرض خضراء، ولكنها هذه المرة محاطة بسور متوسط الطول يكفى فقط لخبج الداخل عن الخارج وتتوسط الأرض مسلة فى طرفها علم!

هذه الصورة ربما تمثل داخل الحلم. وله حدود تحميه وتحجبه عن العالم الخارجى دون أن تفصله عنه تماما، إذ نجد (بابا كبيرا) بين العالمين يُفتح عند اللزوم. وتمثل هذا الداخل أرض خضراء (تنطلق) من منتصفها تماما مسلة!

من العناصر التى إستخدمها الكاتب كثيرا فى رسم لوحات الأحلام "الشكل العمودى" الذى يبلغ عنان السماء ووضع فى صدر الصورة؛ فنجد العمود العملاق، والبرج، والمبنى الشاهق، والمئذنة الرشيقة، والمسلة الطويلة. وهذا البناء العمودى يرمز للعلاقة الوثيقة بين الأرض والسماء. والمسلة بالذات سواء فى الحضارة المصرية القديمة أو المسلات التى بنيت فى حضارات أخرى ترمز للربغة فى الإرتقاء إلى المستوى الإلهى، والبعض يفسر مسلات هليوبوليس بأنها تجسيد للإله آتوم _ رع نفسه.

وجود المسلة فى منتصف الأرض أى فى مركزها هام للغاية، إذ ان المركز يمثل القلب أو الجواهر، فإذا كنا نتحدث هنا عن الذات فالمركز يكون جوهرها ووجود المسلة به يدل على السمو والإتصال المباشر بين جوهر الإنسان وخالقه.. ربما كان العلم الذى فى طرف المسلة هو لتحديد الهوية. وهكذا يكون الكاتب قد حدد شكل الطبيعة البشرية من الداخل برسمها خضراء تعد بالتطور والنمو، وجوهرها متصل إتصلا مباشرا بالله تعالى وهويته لها علاقة بروحانيته.

ولكن هذا الداخل به حركة أخرى تبعد عن مركزها الروحى (المسلة). إنها حركة بهلوانية: مرنة مشوهة، ضاحكة باكية، عنيفة رقيقة.. إنها أشبه بالسيرك!

وتقوم بها ذوات كالمسخ (تسير على أربع، تصيح وتركل وتشم وتغنى وتشدهو) ربما كانت هذه هى صورة الذات فى لاوعى الإنسان.. ولكى يرى بوضوح حقيقتها كان يجب أن ينتقل إلى خارج (الأسوار)... خارج ذاته.

وهكذا يخرج صاحبنا من ذاته ليجد "الآخر" فى إنتظاره: (الجماهير)، ويتطلع "الآخر" إلى هويته (العلم) ليتعرف عليه. فتخرج أخيرا من الداخل (عبر الباب الكبير) ذواته المختلفة (عربة إثر عربة). وهنا أرى الكارثة مرة أخرى وحوذيتها الذات الحسية والذات الروحية معا. ولكن يستوى فيها الحوذى الشاب فى (جلسة ملوكية) ينظر بإستعلاء!!

هل هذا هو التطور الذى تطوره الإنسان الهمجى الذى فى الداخل وما خرج من ذاته هى فعلا حقيقته فى صورتها النهائية؟ أم هو قناع إضطر لإرتدائه ليخفى حقيقته ليتعامل مع ما (ومن) ينتظره فى الحياة؟

على أى حال يفترض يونج أن ظهور اللون الأخضر فى الأحلام يربط الحلم بواقعه... فماذا عن اللون الأحمر؟

الأحمر لون قوى، يحظف الأبيصار، من الصعب الإلتفات إلى لون آخر فى وجوده. وقد وجده المصريون رمزا للعنف والشر ولونوا به "ست" إله الدمار الذى قتل أخيه أوزيريس.

الأحمر لون الشغف والوله والمشاعر القوية، ويجده يونج عظيم الدلالة عند ظهوره فى الأحلام.. إذ أنه لون الدم.

وبينما يحافظ اللون الأخضر على ضبابية الحلم إلا أنه لا يمكن الإستمرار بهذه الضبابية فى وجود اللون الأحمر، فلنلق نظرة على الحلمين اللذين ظهر بهما لنرى كيف أثر عليهما:

الحلم: (115)

في البدء التهاب الخصام حول إصلاح البيت بين الساكنة في الدور التحتاني ومالكة البيت المقيمة في الدور الفوقاني وترامت الأصوات إلى الحارة الصغيرة ففتحت نوافذ وأبواب وأيد البعض مالكة البيت. أما الكثيرة فأيدت الساكنة واحتدم الجدل ثم تطايرت الشتائم حتى أنذر الغضب الأحمر بسفك الدماء.

في هذا الحلم يندلع الصراع بين ساكنتين للبيت (ساكنة الدور التحتاني) و(مالكة الدور الفوقاني)، وما يهمنا الآن ليس رمز البيت أو مكانة الدور (فوق أو تحت)، وإنما ما يلفت نظرنا فوراً هي المشاعر القوية التي تسود الحلم : خصام وجدل وشتائم ثم غضب ودماء.

يبدأ الحلم بإجاء باللون الأحمر دون ظهوره حقيقة (في البدء إلتهب الخصام). فالإلتهاب أحمر اللون. ونظلم ننتظر ظهور اللون صراحة حتى يقترب الحلم من نهايته دون أن يظهر، فتحتقن اللوحة كلها به وتحتقن معه مشاعرنا، حتى (يحدثم الجدل وتتطاير الشتائم) ونفاجأ بظهور اللون على مشاعر الغضب فنشعر به ولا نراه فيزداد الإحتقان، ثم يصل إلى ذروته بالإنذار، مجرد إنذار، بإنفجاره مع (سفك الدماء). لنظلم متأهبين منتظرين ونحن في حال!!

ويختلف الحلم (124) عن هذا الحلم :

كثيراً ما اجتمعنا بمكان يقع بين الحقول من ناحية والطريق العام من ناحية أخرى، حتى قال لي صاحبي إن هذا الموقع لا يضمن السلامة في كل الأحوال ومن خطتها سكن القلق في صدرى حتى استيقظت ذات صباح على ضجة وصياح فقممت إلى النافذة فرأيت جموعاً لا يحصرها حصر وجمهير لم أميز فيها سوى الغضب الأحمر.

ألفاظ هذا الحلم أهدأ من الحلم السابق (فالسلامة) مهددة مما يبعث على مجرد (القلق). و(الضجة والصياح) لم يكن معهما شجار ولا صراع مثلما كان في الحلم السابق.

ثم تمتلىء اللوحة تماماً بالجموع والجماهير، ولكن الغضب هنا ينفجر بسرعة فيغطي لونه الأحمر على كل ما فيها حتى أن صاحبنا لم يميز سواه (لم أميز فيها سوى الغضب الأحمر).

إحتقان الحلم السابق أثر على الرؤية بلا شك، فلا يمكن الرؤية بوضوح والمشاعر كلها على المحك بهذه الصورة، أما إنتشار اللون الأحمر في الحلم الثاني فقد غطى على كل العناصر حتى إستحالت رؤيتها... إنها ضبابية من نوع آخر، ضبابية ساخنة، أوحى بها محفوظ للمتلقي بإقتدار.. برغم إستعماله للون الأحمر الذي يتحدى الضباب.

ما سبق هو عرض سريع للإطار التشكيلي الذي تضمنه محتوى الأحلام. أما أدوات الكاتب للتعبير عن هذا المحتوى فهي كثيرة نبدأ بأهمها وهو : " راوى الأحلام " . ما رأيك؟ هل أستمر أم أتوقف؟ أميمة

د . يحيى :

أشكرك لثقتك برأيي

لا يوجد أى احتمال للتوقف

لا أظن أن التعليق في هذه المرحلة مفيد بل هو قد يكون معطلاً،

حين ينتهى عملك هذا، وسوف ينتهى كأحسن ما يكون، يمكن أن تكون هناك فرصة لنقد النقد

إياك أن تتوقفى.

والدعوة للرأى لمن يشاء .